OPEN ACCESS
Received: 20/01/2025
Accepted: 16/03/2025

مجلة الآداب

Caution in the Noble Quran: A Study of Contexts and Interpretive Dimensions

Dr. Hassan Mohammed Hassan Al-Muallimi *

elmoualimihassan@gmail.com

Abstract:

This study examines the meanings and applications of "caution" in Quran verses, analyzing its contextual nuances and the interpretations of classical and modern exegetes. It identifies the multifaceted domains—doctrinal, social, educational, political, military, and strategic—where caution is emphasized, adapting to the specific demands of each verse. The Quran's treatment of caution positions it as a holistic guide for human conduct, governance, and societal ethics, transcending temporal and cultural boundaries. Employing descriptive and inductive methodologies, the study is divided into an introduction and two sections. Section one explores caution's conceptual foundations and theological legitimacy. Section two investigates its practical manifestations across diverse spheres. Findings reveal that caution encompasses vigilance, preparedness, prudence, and readiness for conflict, reflecting its dynamic role in addressing challenges related to faith, culture, warfare, and social dynamics. By synthesizing exegetical insights, the study underscores the Quran's universal relevance, framing caution as both a moral virtue and a pragmatic strategy applicable to all eras. This dual emphasis highlights the text's enduring capacity to guide human life, balancing spiritual principles with real-world exigencies.

Keywords: Concept of Caution, Legitimacy of Caution, Domains of Caution, Social Issues, Vigilance and Preparedness.

* Associate Professor of Language and Quran Studies, Department of Quran Sciences, College of Education, Al-Mahwit University, Republic of Yemen.

Cite this article as: Al-Muallimi, H. M. (2025). Caution in the Noble Quran: A Study of Contexts and Interpretive Dimensions, *Journal of Arts, 13*(2), 503 -522. https://doi.org/10.35696/joa.v13i2.2575

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 20/ 01/ 2025
تاريخ القبول:16/ 03/ 2025

مجلة الآداب

الحذر في القرآن الكريم- دراسة في السياقات والأبعاد التفسيرية

د. حسن محمد حسن المعلمي *
elmoualimihassan@gmail.com

الملخص:

يهدف البحث إلى الكشف عن معاني الحذر في آيات القرآن التي ورد فيها. وإبراز المجالات والميادين التي تستدعي الحذر فيها. وبيان أقوال المفسرين في تفسير الآيات التي وردت فيها كلمة الحذر بجميع أنواعه. واستخلاص الغايات التي هدفت إليها الآيات المتضمنة لكلمة (حذر) بجميع اشتقاقاتها. ويعد موضوع الحذر في القرآن الكريم من الموضوعات القرآنية المهمة من حيث المعاني والمفاهيم، ومن حيث المعالجات، فمجالات الحذر متعددة منها في الأمور العقدية، ومنها في الأمور الاجتماعية والتعليمية والثقافية والسياسية والعسكرية والحربية، وينسجم المعنى حسب سياق الآية القرآنية، وقد عالج القرآن قضايا حياة البشرية، فهو دستور ومنهاج حياة، وإدارة وحكم، وقد استعمل البحث المنهجين الوصفي والتحليلي الاستقرائي. وتم تقسيمه إلى مقدمة ومبحثين. المبحث الأول: مفهوم الحذر ومشروعيته، المبحث الثاني: مجالات الحذر، ومن أهم نتائج الدراسة الآتي: الحذر يأتي بمعنى الخوف واليقظة والتأهب والاستعداد بالسلاح والاحتراز والحيطة، من خلال الآيات القرآنية التي ورددت فيها كلمة الحذر بجميع مشتقاتها تبين أن مجالات الحذر وميادينه متعددة في قضايا العقيدة والتربية والثقافة والسياسة والحرب والقضايا الاجتماعية والعسكرية، فالقرآن عالج الحذر في تلك القضايا، فهو صالح لكل زمان ومكان.

الكلمات المفتاحية: مفهوم الحذر، مشروعية الحذر، مجالات الحذر، القضايا الاجتماعية، اليقظة والتأهب.

* أستاذ اللغة والدراسات القرآنية المشارك، قسم القرآن وعلومه، كلية التربية، جامعة المحويت، الجمهورية اليمنية.

للاقتباس: المعلمي، ح. م. (2025). الحذر في القرآن الكريم- دراسة في السياقات والأبعاد التفسيرية، *مجلة الآداب*، *13*(2)، 503-522. https://doi.org/10.35696/joa.v13i2.2575

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

الحذر مفهوم قرآني يتضمن أبعادًا ومجالات متعددة تتراوح بين الحذر الدنيوي والحذر الأخروي، وتتجلى دلالاته في سياقات مختلفة تستدعي التحليل والتفسير، وهو ما يسعى البحث إلى دراسته.

فالمسلم يحتاج في مناحي الحياة كلها إلى مزيد من الحذر، وكثيرًا ما يؤتى المرء من قلة حذره أو عدم الاحتياط والتأهب والاحتراز في الأمور العقدية والاجتماعية والثقافية والتعليمية والسياسية والحكم، وفي الأمور العسكرية والحربية، فينتج عن تصرفاته حوادث وآفات، والأخذ بالحذر من باب الأخذ بالأسباب التي أمر بها الشرع، وهو من القدر، ولقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حذره في المواقف والأحوال كلها، في إقامته وأسفاره، في السلم والحرب، ومن ذلك منزله في بدر بعد التشاور خشية فقدهم للماء، فاستوعب بئرًا من آبار بدر فيشرب ولا يشرب المشركون، ومنه عدم تصديق ما يقوله اليهود في الأحكام، وقد بيّن القرآن في آيات كثيرة الحذر حسب سياق الآيات القرآنية.

أهمية البحث:

يعد التفسير الموضوعي الأسلوب الأمثل في عصرنا الحاضر للاهتمام بموضوعات قرآنية هي من الأهمية بمكان، ومن تلك الموضوعات موضوع الحذر في القرآن؛ حيث وردت آيات تتضمن الحذر من النفس والولد والمال، ولم ينحصر في تلك المجالات التي يمكن إدراجها- إن صح التعبير- تحت المجالات المدنية والاجتماعية ، وإنما يتسع المقام إلى الجانب العقدي والتعليمي والثقافي والميادين العسكرية والحربية، فمن هنا نحتاج إلى جمع الآيات في هذا الموضوع وتفسيرها تفسيرًا موضوعيًا لأهمية ذلك للفرد والمجتمع، ولبيان مدى وكيفيات الحذر في حياتنا.

سبب اختيار الموضوع:

أثناء اطلاعي على تفسير بعض آيات الحذر لاسيما التي تحذر من العدو أثناء أداء الصلاة في ميادين الجهاد في سبيل الله، لفت انتباهي أن الحذر مطلوب في حال السلم والحرب، ولو في أداء الصلوات المفروضة، إذ الاحتراز واجب لتجاوز الغفلة، ولدفع العدو عن المباغتة، فاطلعت على الآيات ذات الصلة فوجدته موضوعًا صالحًا للدراسة والبحث، لأن آيات الحذر شملت كل الأحوال التي يعيشها الفرد المسلم، في بيته مع أولاده، في مؤسسته التجارية، في وظيفته، في عبادته وخلواته مع الله، في ميدان الجهاد في سبيل الله، فكل ذلك كان سببًا في اختيار الموضوع لما له من أهمية في حياة الناس لاسيما الفرد المسلم.

أهداف البحث:

يمكننا تحديد الأهداف المنشودة من البحث في نقاط من أهمها:

1. الكشف عن معاني الحذر في آيات القرآن التي ورد فيها.
2. إبراز المجالات والميادين التي تستدعي الحذر فيها.
3. بيان أقوال المفسرين في تفسير الآيات التي وردت فيها كلمة الحذر بجميع أنواعه.
4. استخلاص الغايات التي هدفت إليها الآيات المتضمنة لكلمة (حذر) بجميع اشتقاقاتها.

إشكالية البحث:

تتعدد وتتنوع كتب التفسير ما بين مهتم بالفقه، وآخر بالبلاغة، وآخر بالقراءات الواردة في الآيات، وآخر بالمعنى الإجمالي المراد منه في الآية، وآخر يربط بين مناسبات الآية وما قبلها، هذا على الأغلب في العصور التي خلت، وفي زماننا اتسع المقام إلى إبراز التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني، وللسورة القرآنية، وللموضوع القرآني؛ والذي يندرج تحته بحث الحذر في

القرآن الكريم- دراسة في السياقات والأبعاد التفسيرية، ففهم دلالة مصطلح الكلمة القرآنية وحده لا يبرز الغاية من المفاهيم الموضوعية ذات الاتساع الدلالي والموضوعي شاملًا المجالات الحياتية زمانًا ومكانًا، مع المتغيرات المتعاقبة والأحداث الجديدة.

فالحذر في المعركة العسكرية والحربية من ضربة رمح أو سهم أو سيف غير متاح في زماننا المعاصر مع كثرة الأسلحة الفتاكة بأنواعها، وهي أشد تطورًا وتقدمًا وخطرًا من أدوات الحرب اليدوية التقليدية، أيضًا مع غزو الأجهزة الإلكترونية وتنوعها ودقتها، فالحذر داخل البيت منها وخارجه ولو مع الأقارب يعد اتساعًا موضوعيًا للحذر، وهو ما سنحاول الإجابة عنه بالدراسة والكشف عنه في هذا البحث.

فرضيات البحث:

يتوقع من خلال دراسة موضوع الحذر في القرآن الفروض الآتية:

1- تتعدد مفاهيم الحذر حسب السياق الموضوعي لكل آية.
2- للحذر مجالات دنيوية وأخروية أبرزتها الآيات القرآنية.
3- اهتم القرآن بالفرد بعلاقته مع ربه ونفسه وأسرته ومجتمعه فحذره مما يعكر حياته.

حدود البحث:

تتحدد حدود البحث بآيات القرآن التي ورد فيها الحذر بمشتقاته.

مصطلحات البحث:

مفهوم الحذر- مشروعية الحذر، مجالات الحذر.

منهجية البحث:

المنهجية المتبعة في البحث تقتضي أن نسلك في الدراسات القرآنية ذات الطابع الموضوعي المنهج الوصفي والمنهج التحليلي الاستقرائي، فهما منهجان يناسبان موضوعات التفسير الموضوعي من حيث وصف المفاهيم والغايات المتعلقة بالحذر، وكذا تحليل الآيات مع بيان ما فيها من غايات اجتماعية وحربية وأخلاقية، وغيرها من الغايات التي تنفع الفرد والمجتمع والأمة الإنسانية.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والتحري والاطلاع- في حدود علمي واطلاعي- في المواقع الإلكترونية وقفت على أبرز الدراسات المشابهة التي تناولت الموضوع بعناوين متعددة، منها ما يلي:

1. **الحذر في القرآن الكريم- دراسة موضوعية تحليلية:** ماجستير، للباحث: الطيب محمد عثمان علي الحسن، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، لسنة2009م. ولم أتمكن من الحصول عليها أو تحميلها من الموقع الإلكتروني الذي أوردها بالعنوان والبيانات السابقة دون المضمون.
2. **الحذر في السياق القرآني" تفسير موضوعي لمصطلح قرآني":** د. عبد السلام حمدان اللوح، الجامعة الإسلامية، غزة، دون بيانات، تناولت الدراسة الحذر من حيث وروده بصيغه المتعددة: المضارع والأمر واسم المصدر واسم الفاعل والمفعول، ولم تتطرق تلك الدراسة إلى السياقات والأبعاد التفسيرية وفقًا لمجالات الحذر، وهو ما تناولته دراستنا هذه.
3. **الحذر دراسة قرآنية:** رسالة ماجستير، للباحث: بلسم إبراهيم أسعد علي، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، لسنة2013م، تناولت الدراسة موضوع الحذر من حيث السياق القرآني وفقًا للاشتقاق اللغوي لا التفسيري، متضمنة أنواع الحذر ومجالاته وثماره، إلا أن الدراسة لم تتناول المجالات وفقًا للمتغيرات المعاصرة،

واكتفت بعناوين وردت كما هي بمسمياتها في الآيات القرآنية، وهو ما تناولته دراستنا بالتفصيل والبيان وفقًا للمتغيرات المعاصرة.

4. **الحذر في القرآن وأهميته في حياة المسلمين**: للباحثة: متعبة خالد المطيري، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، السعودية، ولم أتمكن من الحصول عليها أو تحميلها من الموقع الإلكتروني الذي أورد عنوانها دون المضمون.

خطة البحث:

وتم تقسيم البحث إلى مقدمة ومبحثين.

المقدمة

المبحث الأول: مفهوم الحذر ومشروعيته

المطلب الأول: مفهوم الحذر في اللغة

المطلب الثاني: مفهوم الحذر في الاصطلاح

المطلب الثالث: مشروعية الحذر

المبحث الثاني: مجالات الحذر

المطلب الأول: الحذر في الأمور العقدية

البند الأول: الحذر من الكفر والمعاصي

البند الثاني: الحذر من الشبهات

البند الثالث: الحذر من النفاق والمنافقين

المطلب الثاني: الحذر في الأمور الاجتماعية

البند الأول: الحذر من الفتنة بالزوجة والولد

البند الثاني: الحذر من خداع النفس

المطلب الثالث: الحذر في الأمور السياسية

البند الأول: الحذر في أمور الحكم

البند الثاني: الحذر من الشائعات

المطلب الرابع: الحذر في الأمور التعليمية والثقافية

البند الأول: الحذر في الأمور التعليمية

البند الثاني: الحذر في الأمور الثقافية

المطلب الخامس: الحذر في الأمور العسكرية والحربية

المبحث الأول: مفهوم الحذر ومشروعيته

المطلب الأول: مفهوم الحذر في اللغة

(حَذِرَ) الْحَاءُ وَالذَّالُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ مِنَ التَّحَرُّزِ وَالتَّيَقُّظِ، وقد حذرت الشيء أحذره حذرًا، يُقَالُ حَذِرَ يَحْذَرُ حَذَرًا، والجمع حَذِرونَ وحَذارى وحَذُرونَ، وَرَجُلٌ حَذِرٌ وَحَذُورٌ وَحِذْرِيَانٌ: مُتَيَقِّظٌ مُتَحَرِّزٌ، والحذر: (بفتح الحاء وكسرها وبفتح الذال) : الخيفة، وقيل: هو : الاحتراز، وفسره قوم بالتحرز، وقوم بالاستعداد، وَحَذَارِ بِمَعْنَى: احْذَر، وحُذُرّى صِيغَة مَبْنِيَّة من الحذر والرُهْب والرُهْبى - الْخَوْف رَهِبْت الشَّيْء رهَباً ورهْباً ورهْبةً وَهُوَ الرّهَبوتُ، قَالَ: حَذَارِ مِنْ أَرْمَاحِنَا حَذَارِ، {وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ} وَقُرِئَتْ:(حَذِرُونَ): [الشعراء: 56]، قَالُوا: مُتَأَهِّبُونَ، خَائِفُونَ، وَالْمَحْذُورَةُ: الْفَزَعُ، فَأَمَّا الْحِذْرِيَةُ فَالْمَكَانُ الْغَلِيظُ: وَيُمْكِنُ

أَنْ يَكُونَ سُبِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُحْذَرُ الْمَشْيُ عَلَيْهِ، وَاحْتَذَرَ وَاحْتَرَزَ كُلُّهَا بِمَعْنَى اسْتَعَدَّ وَتَأَهَّبَ فَهُوَ حَاذِرٌ وَحَذِرٌ وَالِاسْمُ مِنْهُ الْحِذْرُ مِثْلُ: حِمْلٍ وَحَذِرَ الشَّيْءَ إِذَا خَافَهُ فَالشَّيْءُ مَحْذُورٌ أَيْ مَخُوفٌ وَحَذَّرْتُهُ الشَّيْءَ بِالتَّثْقِيلِ فَحَذِرَهُ، وذهب الكسائي والفراء والمبرد وكثير من النحويين إلى أنّ معنى «حَذِر» «بغير ألف أي: متيقظ، ومعنى حاذر بإثبات الألف أي: مستعد متأهب [1].

إذن مما سبق فكلمة (الحَذَرُ والحِذْرُ) تأتي في اللغة على عدة معانٍ منها:

1. التيقظ.
2. الاحتراز.
3. المحاذرة.
4. التأهب والاستعداد.
5. الخيفة والخوف.

وهناك مصطلحات ذات صلة بالحذر، سنبين الفرق بينها وبين الحذر، كما يلي:

أ- **الْفرق بَين الحذروالْخَوْف (والخشية والفزع):**

الْخَوْف توقع الضَّرَر الْمَشْكُوك فِي وُقُوعه، وَمن يتَيَقَّن الضَّرَر لم يكن خَائفًا لَهُ، وَكَذَلِكَ الرَّجَاء لَا يكون إِلَّا مَعَ الشَّك، وَمن تَيَقّن النَّفْع لم يكن راجيا لَهُ، والحذر توقي الضَّرَر، وَسَوَاء كَانَ مظنونًا أَو متيقنًا، والحذر يدْفع الضَّرَر، وَالْخَوْف لَا يَدْفَعهُ، وَلِهَذَا يُقَال خُذ حذرك، وَلَا يُقَال خُذ خوفك.

ب- **الفرق بين الحذر والرهبة:** الرهبة: طول الْخَوْف واستمراره، وَمن ثمَّ قيل للراهب رَاهِب لِأَنَّهُ دائم الخوف، بينما الحذر: هو توقي الضرر.

ت- **الفرق بين الحذروالاحتراز:** الاحتراز: هو التحفظ من الشيء الموجود، بينما الحذر: هو التحفظ مما لم يكن.

ث- **الفرق بين الحذروالْيقظة (والحيطة):**

اليقظة: كمال التنبه والتحرز عما لا ينبغي، فهي تسبق الحذر، والحيطة: هي مأخوذة من حاطه يحوطه حياطة: أي حفظه وتعهده، والحفظ يشمل حفظ النفس وغيرها بأخذ الأمور بالحزم والثقة، بينما الحذر يترتب على الحيطة و اليقظة[2].

المطلب الثاني: مفهوم الحذر في الاصطلاح

هو اجتناب الشيء خوفًا منه[3].

واجتناب الشيء حذر حدوث خوف منه مع التيقظ المتحرز في أمور عديدة ذات صلة بحياة الإنسان، واجتناب الشيء يشمل الاحتراز والتأهب والاستعداد واليقظة.

المطلب الثالث: مشروعية الحذر

شرع الحذر لحكم جليلة وعظيمة، منها حماية الدين من كيد الأعداء المتربصين بالإسلام وأهله، وحفظ الدولة أرضًا وإنسانًا، وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعُدد، والوسائل الممكنة، ولقد حذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمته من كل ذرائع الشر، من الشرك، من اليهود والنصارى، في حال السلم والحرب، وما ذاك إلا لأهمية الحذر في كل الأحوال، فهو مناط الحفظ والسلامة والاطمئنان، وسياج متين يحمي الأمة من كل الأخطار المحدقة بها.

المبحث الثاني: مجالات الحذر

تتعدد المجالات التي يتطلب من المرء الحذر فيها حسب مقتضيات الأحوال، فإن الحذر على العقيدة أشد أهمية، وأكبر قدرًا، كما أن الحذر من النفاق مهم للحفاظ على النسيج الاجتماعي وترابطه من دون إحداث خرق فيه يؤدي إلى التشرذم، وبالنظر في سياق ما تحكي عنه الآيات القرآنية ذات الصلة يمكننا تقسيم الحذر حسب المجالات الآتية:

المطلب الأول: الحذر في الأمور العقدية

المعتقد في حياة الإنسان مهم للغاية، فبه يعيش ويسعى محققًا تلك الغاية في الدنيا والآخرة؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وأساس الاعتقاد إخلاص الربوبية والألوهية لله وحده، ووصفه بصفات الكمال والجمال، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، والإيمان قولًا وعملًا بما أمر الله به عباده، وما خلقهم من أجله.

البند الأول: الحذر من الكفر والمعاصي

قال تعالى:﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ البقرة 19، إن الإيمان لا يكاد يمس قلب الإنسان حتى يحدث فيه تغيرًا في مشاعره، وتأثيرًا في علاقاته بالناس، وينعكس على تعامله مع الله، فإذا تحقق ذلك أيقن أن الحياة التي يعيشها ما هي إلا مرحلة من المراحل الموصلة إلى الله، ويكون آخر تلك المرحلة الموت، إلا الكافر فإنه لا يؤمن بالله ولا بالآخرة، ويعتقد أنه يعيش ويحيا حياة الدواب، ثم يكون ترابًا.

وفي الآية السابقة ضرب الله المثل للإيمان والكفر كمن يمشي في الظلمات، فكلما برق البرق أضاء ضوءًا تتحقق به الرؤية، فإذا أظلم عادت الظلمة مع خوف شديد، ورعب رهيب، فلا يكاد يبصر المرء ما حوله، فالإيمان نور دائمٌ يزداد بالقرب من الله، وينقص بالبعد عن الله، فالمؤمن ينعم في حياته الدنيا بنعيم الإيمان وحلاوته، وتظهر ثمرته على نفسه وأولاده ومجتمعه، وأما الكافر فهو في ظاهر الأمر في نعيم ورخاء وملذات، ولكنه في حقيقة الأمر في ظلمة حالكة، ومصير خاسر، ولأن الكفر خروج عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فإن الكافر يحب الحياة ويكره الموت، فإذا عرض عارض من مطر وبرق ورعد خشي على نفسه من الموت، خوفًا منه ورعبًا، والله محيط بالكافرين، وإحاطةُ الله قدرتُه على فعل ما يشاء بالكافرين، وفيها تهديد ووعيد، وفيها إشعار بأن الكافر عاجز عن نفع نفسه، ودفع القدر عنه، إذ لو أعمل عقله فإنه غير قادر عن التوقي عن مطر مصحوب بالبرق والرعد، فالصواعق إذا أصابت شيئًا أحرقته فأهلكته، لذلك وضعوا أصابعهم في آذانهم خوفًا من إصابتهم إياها فيموتون، فالكفر موت، والإيمان حياة[4].

وكما حذر الله من الكفر حذر من المعاصي، والمعصية مخالفة أمره، أو بالشك في وعده ووعيده، أو بعدم اتباع ما أمر به الأنبياء تنفيذًا لأوامر الله، قال تعالى:﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: 243].

هذه الآية تضرب مثالًا عن التقاعس بمعصية الله بالهروب عن الجهاد في سبيل الله خوفًا من الموت، لأن الجهاد في سبيل الله من أعظم القربات إلى الله، إذ فيه العزة والإباء، والنكوص عنه ذل وبوار، هكذا يحكي القرآن بالمثل عن جيل من بني إسرائيل لم يرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أمرهم الله بالقتال في سبيله، فآثروا الحياة على الموت، فأصابهم وباء الطاعون فماتوا جميعًا في وقت واحد، وضربوا به ضربة رجل واحد، فوقعوا موتى، ولو أنهم أطاعوا الله وامتثلوا أمره، ولم يعصوه لما أصابهم ما أصابهم، ولو ماتوا في ميدان الجهاد فإنه شرف عظيم لهم في الدنيا، وفلاح لهم في الآخرة، لكنها المعصية التي حالت بينهم وبين تلك المنزلة العظيمة، والشرف العالي، فالآية فيها تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة، وأن الموت إذا لم يكن منه بدٌ ولم ينفع منه مفر، فأولى أن يكون في سبيل الله.

لذلك كما أمات الله تلك الطائفة أحياها لعلها تعتبر وتستبصر الأمرين، فالخوف من الموت في سبيل الله يعد معصية لله، ولا رجوع عن ذلك إلا بالتوبة والجهاد في سبيل الله باليد واللسان والقلب، وهي جماع الجهاد المدني والعسكري والحربي، وبه تتحقق العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، واستشعار عز الاستقلال عن ذل العبودية، وحرية الحياة الشريفة على التبعية المذلة المخزية[5].

ويحذر الله المؤمنين من موالاة الكافرين باتخاذهم أولياء من دون المؤمنين إلا بشروط تتمشى معها الأحوال بقدر الله، وفي أمور ليست فيها خيانة لله، كأن تكون في مسايرتهم – وهي في حال الضعف العسكري والسياسي والاقتصادي- في بعض القضايا التي غلبت فيها المصالح بتحقيق وتسهيل تلك المصالح المتعلقة بالتجارة وما شابهها، قال تعالى:﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨﴾ [آل عمران:28].

فالمحبة في الله، والبغض في الله باب عظيم، وأصل من أصول الإيمان، فمن يوالي الكفرة معتقدًا ومتخذًا لهم أنصارًا له فقد خرج من ولاية الله، فإن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان لا يتفقان، والنهي عن الاتخاذ إنما هو فيما يظهره المرء من مناصرة وتبعية، فأما أن يتخذه بقلبه ونيته؛ فلا يفعل ذلك مؤمن، فاللطف مع الكفار بما ينشر مبادئ الإسلام وسماحته، وأنه دين دعوة وهداية، فهو مطلوب ومرغوب، لكن الميل إليهم بالمحبة المطلقة طريق موصل إلى الموالاة العقدية والسياسية، فموالاتهم بالمودة والنصرة مندوحة عن موالاة للكفر وحزبه، إلا أن يخاف المرء منهم مخافة- لضعفه وقلة حيلته وهذا في القادة أكثر منه في الأفراد- فيداهنهم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان دفعًا عن نفسه من غير أن يستحل حرامًا أو مالًا حرامًا فذلك رخصة، هذا في حكم المسلمين- الذين يعيشون في بلدانهم الأصلية أو في دول الإسلام_ غير الأقليات.

أما الأقليات المسلمة التي تعيش في مجتمعات كافرة- وهم إما مواطنون أصليون أو مقيمون لسبب من الأسباب- فهم ملزمون باللطف واحترام القوانين المدنية المعمول بها في تلك البلدان، مع المحافظة على القيم والأخلاق الإسلامية والإنسانية، والمعايشة بتطبيق النظم التي تحفظ السلم والأمن، وليس المطلوب منهم التوحش والانزواء والانعزال عن مجتمعاتهم ليثبتوا أنهم يرفضون كل شيء غير الإسلام ألبتة، هؤلاء لو حافظوا على التبعية العقدية للإسلام قدر المستطاع بإقامة العبادات وممارسة الأخلاق قولًا وعملًا فقد أدوا معلومًا من الدين بالضرورة على الأقل، لأنه لا يوجد للمسلمين في زمننا المعاصر سلطة مركزية إسلامية موحدة كما كانت عليه قبل قرون، وإذا عزموا على الهجرة من بلدانهم الأصلية فرارًا بدينهم فمن سيقبل بهم من دول الإسلام؟! فيمنحهم حق المواطنة الإسلامية الدائمة والمستمرة بامتيازاتها كافة؛ مرحبين بهم ومسهلين أمورهم، وهم بالملايين !! ولذلك في زماننا المعاصر - المحاصر- فمظاهر الموالاة للكفار تجاوزت اللطف والمودة- المأمور بها شرعًا مع البشرية جمعاء - إلى التبعية العقدية والسياسية والاقتصادية والثقافية، وإن كانت في معظمها بالسر؛ إلا أن الأفعال نتاج عنها، وكاشفة لها[6].

وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٩٢﴾ [المائدة: 92] الخطاب في هذه الآية للمؤمنين جميعًا، يحذرهم الله من الشهوات والعادات الجاهلية التي كانت لا تزال تعلق بالنفوس كرواسب، فالعقيدة الصافية لا تقبل تلك الشوائب والرواسب؛ بل الامتثال إلى ما أمر الله بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، واجتناب ما نهى الله عنه بالحذر من عاقبة المعصية[7].

البند الثاني: الحذر من الشبهات

يحرص تيار الكفر على قذف الشبهات بين المؤمنين لتحقيق خلخلة الصف المسلم، وبث ما يشكك في القرآن والرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لاسيما ما قام به اليهود بواسطة رؤسائهم الذين يتلاعبون بأحكام الدين بأهوائهم ادعاء العلم لأجل الكذب عليه بالتحريف ونشر الشبهات، ودس جواسيس وأعين لهم بين المسلمين، فينقلون لهم كل صغيرة وكبيرة، وكل شاردة وواردة عن الجماعة المسلمة، والدولة المسلمة.

ولا ينحصر ذلك الدور لليهود قديمًا؛ بل هو مستمر حديثًا؛ بل تنوعت الوسائل في ذلك، فبدلًا عن الوسيلة القديمة بإظهار الإسلام وإبطان الكفر عن علم أو جهل، أنشئت جامعات- يسمونها إسلامية- تعنى بتأهيل كوادر شيطانية تنخر في الإسلام باسمه، وتجاهد- في الظاهر- تحت رايته، وتشارك بالفتيات المنتسبات إليها في حفلات ماجنة، وعروض أزياء عارية، وتنشر الشبهات في القرآن والسنة باسم تلك الجامعات المدعومة بمبالغ مالية هائلة، وهي تدار من اليهود ومن على شاكلتهم ممن استعبد نفسه للشيطان من دون الله؛ ممن ينتسبون إلى الإسلام اسمًا فقط، لذلك حذر الله من ذلك بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٤١﴾[المائدة:41].

فالتحذير في هذه الآية هو من قبول واتباع ما يطرحه اليهود ومن على شاكلتهم من المنسلخين عن الإسلام، وإن تعددت وتلونت مسمياتهم[8].

وكما حذر الله تعالى المؤمنين من اليهود ومن على شاكلتهم حذر من اتخاذ ما يعبد من دون الله من البشر والحجر والشجر والشمس والقمر والملائكة وغيرها من المعبودات بالباطل، فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ [الإسراء: 57]، فالمشركون وقعوا في شبهات المعبودات التي شبهها لهم الشيطان باتخاذهم لها وسيلة تقربهم إلى الله، فوقعوا في حبائل الكفر، فتحذير الله من ذلك المسلك الخطير الجسيم الذي يجري في فلك الشبهات التي هي أخطر وأشد من الشهوات[9].

البند الثالث: الحذر من النفاق والمنافقين

النفاق هو إبطان الكفر وإظهار الإسلام، وهو مرض خطير عانت منه الأمة ولا تزال تعاني، وكانت أول بذرة له في المدينة المنورة، فلم يكن في مكة في بداية النبوة إلا إيمان أو كفر، وقد عانت الدولة الإسلامية الوليدة في المدينة المنورة من آفة النفاق، لما له من دور في نخر الإسلام من الداخل خدمة لليهود ومشركي مكة، ولأن النفاق خفي فما كان ليظهر إلا بكشفه بالقرآن؛ ليخرج خبايا أضغان المنافقين، وما تخفي صدورهم مما يتعذر على الجماعة المؤمنة كشفه أكبر، لذلك نزل القرآن كاشفًا لما في صدور المنافقين تجاه الإسلام من عداوة وكيد وفجور، قال تعالى: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤﴾[التوبة: 64].

فهذه الآية الكريمة تبين أن المنافقين ظنوا أن الله لن يكشف سرهم وخبثهم على الإسلام، وركنوا إلى أنفسهم والشيطان بأن أمرهم لن يُفضح، وأنهم في ستر من الله، وحذرهم استهزاء منهم، إلا أن الله فضحهم وهتك سترهم، وتوعدهم بسوء العاقبة، وأي عاقبة تلك التي انتهوا إليها بكشف ما تخفي صدورهم، وما تخططه عقولهم، ولا سبيل لهم بالحلف والإنكار لشيء من ذلك في قلوبهم، فهي الحقيقة التي أتى بها القرآن، ومن أصدق من الله قولًا، فالله قد أظهر ما كان يخافون من إظهاره من نفاقهم، وأبرز خبثهم وكذبهم بالحلف زورًا وبهتانًا.

ولا يزال خطر النفاق والمنافقين مستمرًا على الأمة في عصرنا الحاضر، وازدادت وتيرته مع اتساع مجالات وميادين الحياة، وكثرة وانتشار أدوات الاتصال والتواصل بسهولة ويسر، فليحذر تيار النفاق أيضًا من ظهور خباياه على الناس، إذ لا محالة من ظهور ذلك، والله تعالى مخرج ما يخافون إظهاره، أو يتظاهرون بالخوف منه، إما بالقرآن وقد اكتمل تنزيله على

رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وإما بإفشال ما يخططه المنافقون ضد الدين وأهله بكشف أدواتهم ووسائلهم عبر المراقبة والتمحيص[10].

ولذلك حذر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من المنافقين بأنهم هم العدو فلينابذهم بعدم تصديقهم ولو حلفوا أيمانًا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾[المنافقون: 4]، والمنافقون يحسنون اصطناع الأشكال الحسنة، وتتقن ألسنتهم فصاحة القول في كل زمان ومكان، وما كان ذلك منهم إلا تمويهًا على اعتقادهم الفاسد، فإنهم شياطين على شكل لباس الفقهاء والعظماء، والساسة والظرفاء، وهم يعرفون أنهم منافقون مستورون بستار رقيق من التظاهر والحلف والملق والالتواء[11].

المطلب الثاني: الحذر في الأمور الاجتماعية

الحذر في حياة الأسرة الاجتماعية كفرد وجماعة مطلوب، لأن كيان الأسرة وبناءها لا يصلح إلا بنواة صالحة في الاعتقاد والسلوك، وإلا كانت الأسرة عامل هدم للأمة، والأمة قوامها الأسرة، فإذا صلحت الأسرة وأدت واجباتها صلح المجتمع، وبصلاحه صلحت الأمة، وإذا أصابت الأسرة آفات جسيمة وانحرفت عن الفطرة ضاعت الأمة، لأن تلازم المعايشة الأسرية لا مفر منه؛ بل هو فطرة الله التي فطر الخلق عليها، فالحذر مطلوب حتى من الأفراد الذين يعيشون في الأسرة، فهم كمسافرين على سفينة، فأي خرق في السفينة سيغرق جميع من عليها.

البند الأول: الحذر من الفتنة بالزوجة والولد

الزوجة هي شريكة الرجل وملازمة له في أغلب أحواله، وهي أقرب شخص محيط به في الأسرة، ولقربها منه فهي تعلم بأحواله، وتحيط بأسراره، وتعرف جميع شؤونه الخاصة والعامة، فأي خطر منها تجاهه فإن أثره ووقعه على الأسرة شديد، ولربما حصل التشتت في الأسرة بسبب ما حصل لربة البيت من فتنة، ولما كانت الزوجة والولد هما المحيط الأسري لرب البيت فإنهما ذوا تأثير عليه، فقد يتراجع عن أمر من الأمور في طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ويحصل له التثبيط لهمته بتأثير الأقربين عليه، كما حصل ذلك لرجال من الصحابة حين أرادوا الهجرة من مكة إلى المدينة فتعلق بهم أزواجهم وأولادهم ليثنوهم عن الهجرة، فلما وقع ذلك فاتهم من الفقه والعلم كثيرًا، فهموا بمعاقبتهم على ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن: 14].

ووصفهم الله بالعدو لما في تثبيطهم من العداوة والمعصية لله، والحرمان من الخير، فإنه بمحبتهم يخضع لما يقولونه له، وإنه مع كثرة التثبيط واستمراره سيخضع.

ويتكرر المشهد في كل عصر حين تستنهض الأمة أفرادها للجهاد في سبيل الله، ومحاربة أعداء الله، فإذا بالزوجة والأولاد يقفون موقف العدو بالتثبيط، بدعوى أنهم في حاجته، ولا معيل لهم غيره، فيرسف في قيد التأثير السلبي للأسرة والمقربين منه، فيتخلى عن دوره كمسلم في أمة تناشده وتستنهض دوره تجاه ربه ودينه، وإذا تعود على اللامبالاة فإنه سينظر إلى ما يحدث للمسلمين كحدث عابر مؤلم، دون استشعار مسؤوليته كفرد في الأمة، عليه واجبات نحوها.

فالزوجة والأولاد عامل بناء، ومعول هدم، عامل بناء لو ترسخت في قلوبهم مبادئ الإيمان، ومهام الفرد المسلم الفعال تجاه أمته، ومعول هدم لو غابت تلك المبادئ من سلوكياتهم، أو ضعفت في فترة زمنية ما، ولذا ناسب أن يصفهم الله بالعدو، وهل يحصل من العدو خير وفلاح؟! كلا، إنما هو خسران وهلاك.

وقد يرد استشكال بأن من الزوجات والأولاد من هم صالحون، فكيف يطلق عليهم أعداء؟

والجواب عن ذلك بأن الآية عامة المخرج خاصة المعنى، فمن كان عدوًا من الأسرة بعداوة فيها معصية لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهو المقصود في الآية، وأما من لم تكن منه عداوة في حق أسرته؛ بل كان آمرًا لما فيه طاعة الله، آمرًا بكل خير، سباقًا للخير والبر، فلا تشمله الآية بحال من الأحوال، وإنما هي للاحتراز مما قد يظهر من عداوة من بعض الأزواج والأولاد.

فإذا زالت تلك الأقوال والأفعال منهم الدالة على العداوة أو الموصلة إلى العداوة، فالعفو والصفح عنهم أولى وأجدر، وهو ما عالجته هذه الآية الكريمة، وأكدت عليه باليقظة والحذر من تأثير المشاعر الأسرية[12].

البند الثاني: الحذر من خداع النفس

النفس أنواع، فمنها المطمئنة، ومنها اللوامة، ومنها الأمارة بالسوء، والأخيرة هي التي تأمر المرء بالسوء وارتكاب الآثام، وتجاوز ما نهى الله عنه، وإن من أخص الأحوال ما كان في الحياة الاجتماعية ، كرغبة في الزواج من امرأة هواه جمالها وحبها في فترة عدتها التي تتربصها شرعًا، فالنفس بطبيعتها البشرية تستعجل المآل، وتستبطئ وتستثقل الآجال، فتقع في الضعف البشري، فتميل إلى تحقيق رغبة النفس ولو بتجاوز ما نهى الله عن إتيانه قولًا وفعلًا إلى انقضاء أجله، فيحذر الله عباده عن المواعدة في السر في العدة حتى تنقضي، لما في ذلك من تعد على الحقوق الزوجية للزوج الأول، ولما في ذلك من جرح لحقوق المرأة، وإن كان الدافع إلى ذلك هو الزواج الشرعي، فإن كان ولا بد فالتعريض بلفظ فيه إيعاز بالرغبة لتأسيس حياة زوجية، كأن يقول: فيك صفات حميدة وإني لها لراغب، أو وددت الحصول على زوجة هي بصفاتك، أو إن انقضى أجل عدتك، فالخير لك قادم، وغير ذلك مما أشبه تلك الألفاظ التي لا تصريح فيها بأمر التزويج.

من هنا حذر الله ترغيبًا وترهيبًا أن يخافوا منه بالوقوع في معصية، فالتحذير جاء على أسلوب قرن الأحكام بالموعظة رحمة من الله بعباده[13].

وقد حاول الأستاذ سيد قطب ربط تلك الموعظة بالتشريع ليكشف العلاقة بينهما في قضية اجتماعية بحتة بقوله: (وهنا يربط بين التشريع وخشية الله المطلع على السرائر، فللهواجس المستكنة وللمشاعر المكنونة هنا قيمتها في العلاقات بين رجل وامرأة، تلك العلاقات الشديدة الحساسية، العالقة بالقلوب، الغائرة في الضمائر، وخشية الله، والحذر مما يحيك في الصدور أن يطلع عليه الله هي الضمانة الأخيرة، مع التشريع، لتنفيذ التشريع)[14].

إذن النفس بين تنفيذ الموعظة بتنفيذ التشريع وبين تحقيق رغبتها الطبيعية الجامعة بالتجاوز، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: 30] ، ويوم القيامة تجد النفس خيرها وشرها عيانًا تراه، وتود إرادة وعزيمة وترجيا لو أن بينها وبين ذلك اليوم مسافة رجعية زمنية ومكانية لعلها تصلح ما أفسدته، وهو محال عليها، لأن تلك الفرصة متاحة في الدنيا، وجاء الخطاب بقوله تعالى:(وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ) وعبّر بالفعل المضارع الذي يفيد التجدد والاستمرار، (وَيُحَذِّرُكُمُ) ليدل على أن رأفته بعباده موجودة متصلة معهم قبل يوم الحساب، وأن تحذيره مستمر متجدد طالما والنفس تتجه إلى السوء([15]).

المطلب الثالث: الحذر في الأمور السياسية

يعرض لنا القرآن قصة فرعون ذلك الملك الطاغية الذي استغل منصبه في إضلال وإغواء الناس لعبادته من دون الله، فطغى وتجبر، وهو في نعيم من الله، قصور ومزارع وبساتين وأنهار، كلها نعم من الله عليه وعلى قومه، إلا أنه تمادى في الفساد السياسي العقدي مستغلًا تمكينه من الحكم لسياسة الناس، فضل وأضل، فأهلكه الله وقصوره ومملكته التي كان يتباهى بها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: 6].

بيّن الله تعالى في الآية تمكينه لعباده الصالحين ملك مصر التي كان يحكمها فرعون ببطشه وطغيانه، حيث كانت سياسته مبنية على تفريق شعبه إلى طوائف وطبقات، فمنها طائفة في الخدمة والسحر، ومنها طائفة يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، ولا صوت يعلو فوق صوته، ويدّعي أنه يريد لشعبه الرشاد، وصولًا إلى ادعائه أنه الرب الإله، وهكذا الطغاة في كل زمان ومكان، يدّعون كذبًا أنهم يريدون الصلاح والرشاد لشعوبهم، فإذا هم في فقر وذل وبوار، وما ذلك إلا بالسياسة والحكم خلافًا لما شرعه الله، واتباعًا لقدوتهم فرعون ومن على شاكلته في كل عصر ومصر، ولذلك كان يتوجس فرعون وحاشيته هلاكه على يد موسى عليه السلام من طائفة بني إسرائيل، تلك الطائفة المستعبدة المظلومة المكلومة في عصره، فأراهم الله سبحانه ما كانوا يخافون منه، ويحاولون عدم وقوعه، ويبذلون في سبيل تحقيق ذلك كل أساليب البطش والطغيان والفساد، ولو بسفك الدماء البريئة.

لقد عانت بنو إسرائيل من العذاب السياسي ما لا تتحمله النفس، ولا يستسيغه العقل، فحياتهم اضطهاد وقتل، وتشريد وسلب ونهب، فمورست عليهم أشكال ظلم الحاكم بكل صوره التي تأباها النفس ولا تطيقها، ولعل بني إسرائيل في تاريخهم السياسي الممتد من يعقوب عليه السلام إلى عصرنا الحاضر لم يستفيدوا من الدروس، ولم يخرجوا من دهاليز الظلم والطغيان والفساد، فما كان يمارس على أجدادهم في القرون الماضية من قتل ونهب وسلب وظلم وفساد، هاهم يمارسونه ضد أبناء فلسطين شيوخًا ونساءً وأطفالًا، فينزلون بهم أبشع جرائم الإبادة التي لا مثيل لها في القرون الماضية، ويرتكبون جرائم شنيعة لم يرتكبها فرعون في حق أجدادهم، فالسياسة هي السياسة، والحكم هو الحكم، والمتغير هو المسميات فحسب.

هل لأنهم لا يدرسون التاريخ؟! هل لأنهم لا ماضي لهم؟! هل لأنهم لم يؤرخوا تاريخهم الممتد عبر قرون؟ كلا؛ بل هم يعلمون ماضيهم أكثر من حاضرهم، ولكنهم جيل غير ذلك الجيل، هم جيل مارق من الدين، يحارب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ويحارب شريعة موسى وعيسى عليهما السلام، إنهم كائنات بشرية متوحشة لا تعرف دينًا ولا أخلاقًا، هكذا تاريخهم السياسي ولا يزال، فلو خافوا عقاب الله لارتدعوا وهم يزعمون أنهم أهل كتاب، فسيهلكون كما هلك فرعون مهما احترزوا، فكل حاكم طاغية لا محالة هالك ولو احترز من عذاب الله وبطشه[16].

وقصة فرعون الغاية منها في السياسة والحكم مثل عملي ضربه الله لخلاص أضعف الضعفاء من مخلب أقوى الأقوياء، وهو ما ذكره العلامة ابن باديس بقوله:(فالسر المتجلي في هذه الآية: هو أن الله أراد بما صنع لبني إسرائيل وبما قال لهم أن يعلم هذا الإنسان من سنن الله في كونه ما لم يكن يعلم، وهو إخراج الضد من الضد، وإخراج الحي من الميت، وإنقاذ الأمة الضعيفة التي لا تملك شيئًا من وسائل القوة الروحية، ولا من وسائل القوة المادية- من استعباد الأقوياء المتألهين- فهو مثل عملي ضربه الله لخلاص أضعف الضعفاء من مخلب أقوى الأقوياء، وجعل المستضعفين أئمة وارثين، وسادة غالبين، والتمكين لهم في الأرض[17]).

ولأن أنموذج فرعون يتكرر في كل عصر، فقد واجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلفًا وعنادًا من كبار أحبار اليهود، فكان منهم المكر باستعمال أسلوب الاحتكام إليه، فإن حكم لهم في خصومتهم اتبعه اليهود، وأعلنوا سيادة دينه، وهو إغراء شيطاني يهدف لصده عما أرسله الله، وهو مكر سياسي الهدف منه المناورة والخلخلة، قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩﴾ [المائدة49]، فاليهود غايتهم النيل من الإسلام كدين خاتم، فلا يدينون له بالسيادة والهيمنة، وهذه الآية تنبيه للرسول صلى الله عليه وآله وسلم بصيغة الأمر، واحذرهم: أي انتبه واحترز من اليهود وأساليبهم ليصدوك عن الدين الحق، وهو خطاب ممتد متسع لأمته عبر الزمان[18].

البند الثاني: الحذر من الشائعات

الشائعات هي إذاعة الأخبار والمعلومات للآخرين كذبًا، والحذر منها يكون بعدة طرق ووسائل، منها:

مواجهة تلك الشائعات بالتفنيد والتصحيح، ومنها استشعار الخطر دومًا بتتبع مصادره ووسائله، والتأهب للحماية منه بالسلاح بأنواعه، ومواجهته، والسلاح سلاح البنان، وسلاح البيان باللسان، فالشائعة الإعلامية نوع من الحرب؛ بل هي شرارة الحرب بين الجماعات، وبين الدول، ولقد أشاع فرعون في مدائنه عبر أعوانه ورسله التعبئة العامة ضد موسى عليه السلام وقومه بني إسرائيل حاثًا على التأهب والإعداد لاستئصال موسى ومن معه، وذلك التحذير منه بين العامة متباهيًا بالقوة التي يمتلكها، وهي قوة بشرية هائلة من الجنود، وقوة المال والسلاح، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝٥٣ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۝٥٤ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ۝٥٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ۝٥٦﴾[الشعراء:53- 56].

ومعنى حاذرون: متأهبون ومعدون العدة والعتاد، فقد أشاع ذلك فرعون فحشر جنده بأعداد هائلة هي أعداد مضاعفة لعدد بني إسرائيل، وانطلق متتبعًا أثر بني إسرائيل للقضاء عليهم بعد أن أشاع عنهم أنهم شرذمة قليلون غائظون لهم، يجب التخلص منهم بقتالهم، وقتلهم جميعًا، والانتقام منهم، فبدأ الحشد بإشاعة كاذبة وانتهت بالهلاك، وهي نتيجة خاسرة حتمية، فما بني على باطل زال وبطل، وقد هلك فرعون وجيوشه، ونال حتفه بيده وهو يراه بعينه، والعاقبة للمتقين[19].

لذا فالتيقظ والحيطة على الدوام بسد ذرائع الفساد- والنار من مستصغر الشرر- أصل مهم على الأمة تحقيقه بالحذر في الأمور كلها، من شائعات وأخبار كاذبة، وهو أصل مهم من أصول السياسة الشرعية العامة كما أوضح ذلك الإمام ابن عاشور بقوله في تفسيره:(وهذا أصل عظيم من أصول السياسة، وهو سد ذرائع الفساد ولو كان احتمال إفضائها إلى الفساد ضعيفًا، فالذرائع الملغاة في التشريع في حقوق الخصوص غير ملغاة في سياسة العموم، ولذلك يقول علماء الشريعة: إن نظر ولاة الأمور في مصالح الأمة أوسع من نظر القضاة، فالحذر أوسع من حفظ الحقوق والخوف من وقوع شيء ضار يمكن وقوعه، والترصد لمنع وقوعه[20].

المطلب الرابع: الحذر في الأمور الثقافية والتعليمية

ينشأ الأفراد في أي مجتمع على قيم ومبادئ تغرسها فيهم الأسرة والبيئة المحيطة بهم، ويكتسب الأفراد ثقافة يستطيعون بها التفاعل مع المجتمعات الإنسانية؛ بل يخدمون بها ما يعتقدونه من معتقدات صحيحة أو خاطئة، ففي بيئة الإسلام ينشأ الفرد صالحًا مصلحًا لأنه تربى وتعلم على أسس صالحة، وفي بيئة أخرى مغايرة يعيش الفرد مكتسبًا ما تربا وتعلمه إيجابًا أو سلبًا بما يخدم ما يعتقده ولو باطلًا.

البند الأول: الحذر في أمور التعليم

تعتبر الأمور التعليمية من أهم سمات الفرد في أي بيئة كان، فالإنسان يولد جاهلًا بأمور حياته، وفي مراحل نموه يتعلم تدريجيًا ما يحتاجه في حياته، ويتعلم من أبيه وأمه ومجتمعه كثيرًا من الأمور الحياتية التي كان يجهلها، فإذا ما كبر ازداد رشدًا وتعلم العلوم التي تنفعه في الدنيا والآخرة.

ولكن ما كل العلوم نافعة وماتعة للروح، فبعضها فيه الوبال والخسران، وكم من صاحب علم أهلكه علمه، وكم من صاحب علم نفعه علمه، وأوصله إلى الله، ونال الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، ولما كانت الحال كذلك كانت تربية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأتباعه لا مثيل لها من حيث المبدأ والرعاية والإرشاد والمتابعة، لأن العلم إذا ترسخ بالإيمان كانت ثمرته على السلوك ظاهرة صالحة، وإذا تخلخل الإيمان ولم يرسخ في القلب ولو ادعيَ ظاهرًا، فإنه لا يستفيد من العلم شيئًا، كما هي الحال في تيار المنافقين الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، ومع حرصهم على التعلم فإنهم لم يستفيدوا علمًا وخلقًا،

وظل الشيطان يتلاعب بهم، ويسيرهم كيفما يشاء، ولم تنفعهم عقولهم لأنهم لم يُعملوها في الخير؛ بل أعملوها في الشر والكفر.

ولأن المنافقين لم يثمر فيهم التلقي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا التعليم، فقد شذ سلوكهم وتعاملهم حتى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ بل ومناداته يا محمد كأنهم ينادون على شخص منهم، وما ذاك منهم إلا هروب مبطن من الرسالة والنبوة وجحود بهما، فنزل القرآن ليعلمهم أسلوب التخاطب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتوقيره وتعظيمه بخفض الصوت والتواضع له، فقال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:63].

قوله فليحذر: أي فليتيقظ وليحترز، وذلك باجتناب المخالفة خشية عقاب الله، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو دعا عليكم لأصابكم البلاء والخسران والأهوال والهلاك، فجاءت الآية تعليمية آمرة أمرًا وجوبيًا بتوقير رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته.

وكما أن تيار النفاق لم يتعلم بإصرار منه، وجحود مضمر منه بالرسالة، فها هو تيار النفاق والإلحاد يمارس ما مضى عليه الأقدمون من زعماء النفاق، فلا يمر بهم حدث أو موضوع إلا وتتحرك ألسنتهم بأقذع الألفاظ في حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكأنهم يتحدثون عن رجل منهم؛ بل عن رجل لا دين ولا أخلاق له، فضلًا عن خاتم المرسلين، وإمام العالمين، ومن لم يتعلم يجهل، ومن يجهل يضل، وذلكم التيار مستمر في كل عصر، وتتعدد وسائله وقبائحه بتعدد صنوفه وتكاثره في غياب تطبيق العدالة عليه، وما دامت الحال كذلك مع خاتم المرسلين فهي مع العلماء والدعاة والمربين أضنك وأنكى، وهي سلوكيات مخالفة لمنهاج النبوة والرسالة.

هذا ولا يستوي ذلك التيار هو ومن يتعلم الإيمان والعمل، ويعمل بمنهاج النبوة في حياته اعتقادًا وسلوكًا، فشتان بين الفريقين، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر:9]، فمن آمن بالله علم، ومن علم عمل، ومن عمل نال ثوابه في الدنيا والآخرة، فلا يستوي العالم والجاهل، وكذلك لا يستوي المطيع والعاصي، فالعلم الحق هو إدراك الحق بالحقائق الكبرى الثابتة لا بالتجارب والمشاهدات والعلوم المتغيرة التي ليس فيها دين وأخلاق، هذا هو التمايز بين الفريقين[21].

البند الثاني: الحذر في أمور الثقافة

لما كان التعلم والتعليم مهمان للإنسان في حياته، فإن العلم مفتاح الثقافة، فكل مثقف متعلم، وليس كل متعلم مثقفًا، فالتعلم أداة، والثقافة هوية ومبدأ، ولذا حث القرآن على الاستزادة من العلم والثقافة، وحث على الاستنفار من أجل طلب التفقه والتثقف، وهو أمر كفائي، إذ يستحيل أن يكون الناس في مرتبة واحدة من العلم والثقافة، فالتساوي متعذر، والتغاير ممكن، وهي سنة من سنن الله في خلقه، فطائفة في العلم اليقيني، وأخرى في العلم الظني، وأخرى في العلم الشرعي، وأخرى في العلم التجريبي.

وهكذا تتنوع ميادين العلم والثقافة، وأهمها ما كان من أجل الدين وفي الدين، فنشر الإسلام لا يكون إلا بعلم واطلاع، وأخلاق، ولا تؤتى ثماره إلا بجهد من العلماء الراسخين في العلم، ممن تعلموا وتثقفوا على حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وحب المؤمنين، وهذا هو الفلاح.

وهذا لا يعني إهمال العلوم الأخرى التي فيها معايش الناس، فهي مهمة في حياة المسلم، ولا غنى عن تلك العلوم في إحراز التقدم والتطور، وتحقيق الاكتفاء الذاتي مما يحتاجه الإنسان المسلم ليعلو ويتفوق على غيره، متسلحًا بالعلم

والإيمان، فالتوازن مطلوب في أمة الإسلام، فقوم يحفظون أركان الشرع، وآخرون يقومون بإمضاء الأحكام، وآخرون بالرد على المخالفين، وآخرون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وآخرون في الطب والهندسة والزراعة، وهكذا في شتى المجالات.

قال تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة:122]، فمعنى لعلهم يحذرون: الترجي لوقوع الحذر منهم عن التفريط فيما يجب فعله فيترك، أو فيما يجب تركه: فيفعل، والغرض منه الخوف والتحرز بإصلاح العمل وخشية الله، والحذر من بأسه، وإذا كانت الحال هذه في حق جيل حاضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعلم منه ويتفقه في أمور دينه ودنياه وآخرته، فهي أولى في حق الأجيال في كل عصر نحو قادتهم الربانيين وعلمائهم الراسخين بتنوع ميادين الجهاد المسلح، وميادين الجهاد المدني، ومنه التعلم والتعليم في مجالات العلم كافة[22].

المطلب الخامس: الحذر في الأمور العسكرية والحربية

الحذر في أوقات الحرب والعمليات العسكرية لا يقل أهمية عن الحذر في بقية الأمور الحياتية الاعتيادية؛ بل هو في الحروب أكثر أهمية وأعظم شأنًا، لأن عدم التيقظ في الحرب قد تهلك بسببه دولة أو أمة، ولذلك حث القرآن على الحذر في حال الحرب والمعارك حتى أثناء الصلاة، فنهى عن الغفلة عن السلاح، وأوجب أن تظل طائفة من الجيش بالتناوب، عينها على السلاح وتقوم بالحماية مع الاستعداد التام لمواجهة أي طارئ، لأن العدو لن يترك فرصة سانحة له ولو في أثناء الصلاة، لأنه لا يقر بتلك الصلاة، ولا يعترف بالإسلام دينًا كونيًا ارتضاه الله لخلقه، فالتيقظ والاستعداد والتأهب أمور مطلوبة، مع أن زمن إقامة الصلاة وأدائها لا يستغرق عشر دقائق، فماذا ستقع في تلك المدة؟!

إنها دقائق قد يتم فيها ما لم يتم في أيام لو حصلت الغفلة والدعة والركون، إن ميدان الحرب لا يعرف الكلل والملل، وميزان الدقيقة من الأهمية بمكان، لاسيما في عصرنا الحاضر مع تقدم وتطور الأسلحة الفتاكة، التي تهلك الحرث والنسل، سواء كانت جرثومية أو نووية، أو إلكترونية، فهي أسلحة متطورة استعملت التكنولوجيا الحديثة في تسييرها آليًا والضرب بها في دقائق محدودة جدًا لإبادة ملايين البشر والثمر والدواب، فتذرها كأن لم تكن فيها حياة في سابق زمانها.

فالثبات في الحرب مع التيقظ والاستعداد كفريق واحد من لوازم النصر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾ [النساء:71]، قوله تعالى:(خُذُوا حِذْرَكُمْ) أي: خذوا عدتكم وآلتكم في السلاح التي تتقون بها من عدوكم لغزوهم وحربهم، وهذا لا يكون إلا بالاستعداد والتأهب والتيقظ والاحتراز، والخطاب للمؤمنين في كل عصر بالنهوض للجهاد في سبيل الله وحماية الشرع، والحذر لا يدفع القدر، وإنما الأخذ به هو من القدر تعبدًا، ويستلزم الحذر معرفة العدو بجمع المعلومات عنه وعن عتاده، وأساليبه القتالية، فمعرفة ذلك يعطي دفعًا لمواجهته بوسائل عديدة برًا وجوًا وبحرًا، فالعدو في الوقت الحاضر يستعملها بأحدث التقنيات التي وصلت إليها البشرية، فالإعداد يستلزم مواكبة الصناعة والتصنيع العسكري والحربي، واستخدام أحدث التقنيات في الأسلحة والآلات المتطورة، وكل زمن بحسبه.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ ۖ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾[النساء:71]، فقوله تعالى:(وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ) هو دليل على أن الحذر يقصد به الاستعداد والتيقظ والحيطة، ثم يستعمل السلاح كنتيجة ترابطية مع الحذر، والغرض من ذلك عدم الغفلة

عن العدو ولو للحظة، فدقة الملاحظة والمراقبة تجنب المباغتة، وكل ما ذُكر إنما يستلزم أن يكون وفق تخطيط وأهداف ووسائل، فالإعداد للمعركة أهم من المعركة ذاتها، وهو أسلوب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في إدارته للمعارك والحروب بتخطيط مسبق أرضًا وإنسانًا وعتادًا، فالتنظيم العسكري ركيزة مهمة من ركائز الدفاع عن الدين والنفس والأرض، ولا يمكن بحال من الأحوال تحقيق النصر دون الأخذ بأسبابه من إيمان صادق وإعداد وتدريب وتخطيط وتصنيع وغيرها، وإلا فالغلبة للقوة والعدد، وفهمنا لعدونا يعطينا مداخل للقضاء عليه.

لقد أتقن الأعداء أساليبهم القتالية وإستراتيجياتهم الحربية فدرسوا حال دول المسلمين، فاستخدموا قوتهم بأنواعها للقضاء على المسلمين، وكسر شوكتهم، واستباحة أراضيهم، ونهب ثرواتهم، وتحقيق تبعيتهم السياسية والثقافية والتعليمية والعسكرية وفقًا لما يريده الأعداء، وإلا فكيف بأمة إسلامية تعدادها مليار ونصف نسمة في مواجهة خمسة ملايين يهودي، وتستنجد بعدو على عدو، وهو حليفه، وعلى ملته وفي قوةِ وحِدَّةِ حقده وكرهه؟!

فأين الخلل إذن؟ أهو في العدد أم في العدة؟

إن العدد يفوق عدد العدو، لكن العدة هي الفارق، ولو وجدت العزيمة المخلصة والإرادة الصادقة لتم تجهيز وإعداد العدة بما يفوق ما لدى العدو، لكنها الغفلة وحب الدنيا، والتبعية والذل والهوان، وهي مكمن الضعف لدى أمة الإسلام في زماننا المعاصر[23].

النتائج:

توصل البحث إلى عدة نتائج أهمها الآتي:

1. ورد الحذر بمعنى التيقظ والاستعداد والتأهب والاحتراز والحيطة، ويتسع المعنى الاصطلاحي فيزيد عن المعنى اللغوي حسب مجالات وميادين الحياة.
2. الحذر في الأمور العقدية مهم للغاية، لما له من تبعات.
3. الحذر في الأمور الاجتماعية يحافظ على الفرد المسلم، وعلى قوام الأسرة والمجتمع من كل الأخطار المحيطة بهم.
4. الحذر في الأمور السياسية والحكم مداره الدولة بأفرادها، فالحفاظ على الدولة حفاظ على الأفراد، بإقامة العدل والمساواة.
5. الحذر في الأمور التعليمية والثقافية غاية مهمة، فهو حفاظ على الهوية الإسلامية، لاسيما في عصرنا الحاضر الذي يواجه الإسلام حربًا على هويته.
6. الحذر في الأمور العسكرية والحربية في زماننا المعاصر أشد أهمية، وأنفع للأمة بالحفاظ على الإنسان والأرض، وحماية الأنفس والممتلكات.

الهوامش والإحالات

([1]) الجوهري، الصحاح:626/2؛ ابن فارس، مقاييس اللغة: /37؛ ابن سيده، المخصص:356/3؛ الحميري، شمس العلوم: 1379/3؛ ابن منظور، لسان العرب: 4/ 175؛ الكفوي، الكليات: 409/1؛ الزبيدي، تاج العروس:565/10.

(2) ينظر: الجوهري، الصحاح: 1181/3؛ ابن منظور، لسان العرب: 279/7؛ العسكري، الفروق اللغوية: 1/ 240، 241.

([3]) الكفوي، الكليات: 1/ 409.

([4]) ينظر: الطبري، جامع البيان: 346/1؛ البيضاوي، أنوار التنزيل: 51/1؛ رضا، تفسير القرآن الحكيم: 149/1.

([5]) ينظر: الطبري، جامع البيان: 276/5؛ الزمخشري، الكشاف: 290/1؛ الشوكاني، فتح القدير: 300/1؛ رضا، تفسير القرآن الحكيم: 363/2.

([6]) ينظر: الطبري، جامع البيان: 313/6؛ الزمخشري، الكشاف: 351/1؛ ابن عطية، المحرر الوجيز: 419/1؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير: 216/3.

([7]) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: 232/2؛ ابن حيان، البحر المحيط: 359/4.

([8]) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: 192/2؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 116/3؛ رضا، تفسير القرآن الحكيم: 322/6.

([9]) ينظر: الطبري، جامع البيان: 474/17؛ رضا، تفسير القرآن الحكيم: 408/8.

([10]) ينظر: الطبري، جامع البيان: 331/14؛ ابن عطية، المحرر الوجيز: 54/3؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير: 247/10.

([11]) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: 312/5؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 126/8، قطب، في ظلال القرآن: 3574/6.

([12]) ينظر: الطبري، جامع البيان: 423/23؛ الزجاج، معاني القرآن: 181/5؛ الكرجي، النكت الدالة على البيان: 233/2، البغوي، معالم التنزيل: 104/5؛ الزمخشري، الكشاف: 550/4؛ الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل: 303/4.

([13]) ينظر: الطبري، جامع البيان: 117/5؛ الزجاج، معاني القرآن: 317/1؛ الثعلبي، الكشف والبيان: 186/2؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 639/1؛ الثعالبي، الجواهر الحسان: 473/1؛ رضا، تفسير القرآن الحكيم: 339/2.

([14]) قطب، في ظلال القرآن: 256/1.

([15]) ينظر: الطبري، جامع البيان: 6 /321؛ الزمخشري، الكشاف: 353/1؛ ابن عطية، المحرر الوجيز: 421/1؛ النسفي، مدارك التنزيل: 248/1؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير: 223/3.

([16]) ينظر: النحاس، معاني القرآن: 157/5؛ الثعلبي، الكشف والبيان: 233/7؛ الألوسي، روح المعاني: 255/10؛ قطب، في ظلال القرآن: 2678/5.

([17]) ابن باديس، مجالس التذكير : 391/1.

([18]) ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن: 460/1؛ الطبري، جامع البيان: 392/10؛ الثعلبي، الكشف والبيان: 75/4؛ ابن حيان، البحر المحيط: 286/4؛ رضا، تفسير القرآن الحكيم: 348/6.

([19]) ينظر: الفراء، معاني القرآن: 280/2؛ الطبري، جامع البيان: 350/19؛ الزجاج، معاني القرآن: 94/4؛ البغوي، معالم التنزيل: 467/3؛ ابن عطية، المحرر الوجيز: 232/4؛ النسفي، مدارك التنزيل: 564/2؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 143/6.

([20]) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 131/19.

([21]) ينظر: الطبري، جامع البيان: 231/19؛ الزجاج، معاني القرآن: 55/4، 347؛ البغوي، معالم التنزيل: 433/3؛ الزمخشري، الكشاف: 260/3؛ البيضاوي، أنوار التنزيل: 116/4؛ الشوكاني، فتح القدير: 69/4، ابن باديس، مجالس التذكير: 336/1؛ قطب، في ظلال القرآن: 2535/4، 3042/5.

([22]) ينظر: الطبري، جامع البيان: 566/14؛ القشيري، لطائف الإشارات: 73/2؛ الرازي، مفاتيح الغيب: 171/16؛ الشوكاني، فتح القدير: 474/2؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير: 59/11.

([23]) ينظر: الطبري، جامع البيان: 536/8، 141/9؛ البغوي، معالم التنزيل: 661/1؛ الزمخشري، الكشاف: 532،559/1؛ ابن عطية، المحرر الوجيز: 77/2؛ القرطبي، الجامع بأحكام القرآن: 273/5؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 357/2؛ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن: 260/2؛ رضا، تفسير القرآن الحكيم: 204/5؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير: 118/5.

المراجع:

الألوسي م. ع. (1415). *روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني* (علي عبد الباري عطية، تحقيق؛ ط.1). دار الكتب العلمية.

ابن باديس، ع. م. (1995). *مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير* (أحمد شمس الدين، تحقيق؛ ط.1). دار الكتب العلمية.

البغوي، ح. م. (1420). *معالم التنزيل في تفسير القرآن* (عبدالرزاق المهدي، تحقيق؛ ط.1). دار إحياء التراث العربي.

البيضاوي ع. ع. (1418). *أنوار التنزيل وأسرار التنزيل* (محمد عبدالرحمن المرعشلي، تحقيق؛ ط.1). دار إحياء التراث العربي.

الثعالبي ع. م. (1418). *الجواهر الحسان في تفسير القرآن* (محمد علي معوض، عادل أحمد عبد الموجود، تحقيق؛ ط.1). دار إحياء التراث العربي.

الثعلبي أ. م. (2002). *الكشف والبيان عن تفسير القرآن* (الطاهر بن عاشور، تحقيق؛ ط.1). دار إحياء التراث العربي.

الجوهري إ. ح. (1987). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية* (أحمد عبد الغفور عطار، تحقيق؛ ط.4) دار العلم.

الحميري، ن. س. (1999). *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم* (حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، ويوسف محمد عبد الله، تحقيق؛ ط.1). دار الفكر المعاصر.

ابن حيان م. ي. (1420). *البحر المحيط في التفسير* (صدقي محمد جميل، تحقيق). دار الفكر.

الخازن، ع. م. (1415). *لباب التأويل في معاني التنزيل* (ط.1). دار الكتب العلمية.

الرازي أ. ف. (1979). *معجم مقاييس اللغة* (عبد السلام محمد هارون، تحقيق). دار الفكر.

رضا، م. ر. (1990). *تفسير القرآن الحكيم- تفسير المنار*. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الزبيدي م. م. (د.ت). *تاج العروس من جواهر القاموس* (مجموعة من الباحثين، تحقيق).، دار الهداية.

الزجاج، إ. س. (1988). *معاني القرآن وإعرابه* (عبد الجليل عبده شلبي، تحقيق؛ ط.1). عالم الكتب.

الزمخشري، م. ع. (1407). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*(ط.3). دار الكتاب العربي.

ابن سيده، ع. إ. (1996). *المخصص* (خليل إبراهم جفال، تحقيق؛ ط.1). دار إحياء التراث العربي.

الشوكاني م. ع. (1414). *فتح القدير*(ط.1). دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.

الطبري م. ج. (2000). *جامع البيان في تأويل القرآن*(أحمد محمد شاكر، تحقيق؛ ط.1). مؤسسة الرسالة.

ابن عاشور، م. ط. (1984). *التحرير والتنوير*. الدار التونسية.

العسكري، ح. ع. (د.ت). *الفروق اللغوية* (محمد إبراهيم سليم، تحقيق؛ ط.2). دار العلم والثقافة.

ابن عطية، ع. غ. (1422). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز* (عبد السلام عبد الشافي محمد، تحقيق؛ ط.1). دار الكتب العلمية.

الفراء ي. ز. (د.ت). *معاني القرآن* (أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، تحقيق؛ ط.1). دار المصرية للتأليف والترجمة.

ابن قتيبة، ع. م. (د.ت). *تأويل مشكل القرآن* (إبراهيم شمس الدين، تحقيق) دار الكتب العلمية.

القرطبي م. أ. (1964). *الجامع لأحكام القرآن* (أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، تحقيق؛ ط.2). دار الكتب المصرية.

القشيري. (د.ت). *لطائف الإشارات* (إبراهيم البسيوني، تحقيق؛ ط.3). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

قطب، س. (1412). *في ظلال القرآن* (ط.17). دار الشروق.

ابن كثير، إ. ع. (1999). *تفسير القرآن العظيم* (سامي محمد سلامة، تحقيق؛ ط.2). دار طيبة للنشر والتوزيع.

الكرجي، أ. م. (2003). *النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام* (علي بن غازي التويجري وآخرون، تحقيق؛ ط.1). دار القيم، دار ابن عفان.

الكفوي أ. م. (د.ت). *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية* (عدنان درويش، ومحمد المصري، تحقيق). مؤسسة الرسالة.

ابن منظور م. م. (1414). *لسان العرب* (ط.3). دار صادر.

النحاس أ. م. (1409). *معاني القرآن* (محمد علي الصابوني، تحقيق؛ ط.1). جامعة أم القرى.

النسفي، ع. أ. (1998). *مدارك التنزيل وحقائق التأويل* (يوسف علي بدوي، تحقيق؛ ط.1). دار الكلم الطيب.

References:

Al-Alusi, M. A. (1994). *Ruh al-ma'ani fi tafsir al-Qur'an wa al-sab' al-mathani* (A. A. Atiyah, Ed.; 1st ed.). Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Ibn Badis, A. M. (1995). *Majalis al-tadhkir min kalam al-hakim al-khabir* (A. Shams al-Din, Ed.; 1st ed.). Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Al-Baghawi, H. M. (1999). *Ma'alim al-tanzil fi tafsir al-Qur'an* (A. Al-Mahdi, Ed.; 1st ed.). Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.

Al-Baydawi, A. A. (1997). *Anwar al-tanzil wa asrar al-ta'wil* (M. A. Al-Mur'ashli, Ed.; 1st ed.). Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.

Al-Tha'alibi, A. M. (1997). *Al-jawahir al-hisan fi tafsir al-Qur'an* (M. A. Muwaḍḍ & 'A. A. 'Abd al-Majid, Eds.; 1st ed.). Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.

Al-Tha'alibi, A. M. (2002). *Al-kashf wa al-bayan 'an tafsir al-Qur'an* (T. Ibn 'Ashur, Ed.; 1st ed.). Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.

Al-Jawhari, I. H. (1987). *Al-Sihah: Taj al-lughah wa sihah al-'Arabiyyah* (A. A. 'Attar, Ed.; 4th ed.). Dar al-'Ilm.

Al-Himyari, N. S. (1999). *Shams al-'ulum wa dawa' kalam al-'Arab min al-kulum* (H. A. Al-'Umari, M. A. Al-Iryani, & Y. M. 'Abdullah, Eds.; 1st ed.). Dar al-Fikr al-Mu'asir.

Ibn Hayyan, M. Y. (1999). *Al-bahr al-muhit fi al-tafsir* (S. M. Jamil, Ed.). Dar al-Fikr.

Al-Khazin, A. M. (1994). *Lubab al-ta'wil fi ma'ani al-tanzil* (1st ed.). Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Al-Razi, A. F. (1979). *Mu'jam maqayis al-lughah* (A. M. Harun, Ed.). Dar al-Fikr.

Rida, M. R. (1990). *Tafsir al-Qur'an al-hakim – Tafsir al-Manar*. Al-Hay'ah al-Misriyyah al-'Ammah lil-Kitab.

Al-Zabidi, M. M. (n.d.). *Taj al-'arus min jawahir al-qamus* (Research group, Ed.). Dar al-Hidayah.

Al-Zajjaj, I. S. (1988). *Ma'ani al-Qur'an wa i'rabuhu* (A. A. Shalabi, Ed.; 1st ed.). 'Alam al-Kutub.

Al-Zamakhshari, M. A. (1987). *Al-Kashshaf 'an haqa'iq ghawamid al-tanzil* (3rd ed.). Dar al-Kitab al-'Arabi.

Ibn Sida, A. I. (1996). *Al-Mukhaṣṣaṣ* (K. I. Jafal, Ed.; 1st ed.). Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.

Al-Shawkani, M. A. (1993). *Fath al-qadir* (1st ed.). Dar Ibn Kathir, Dar al-Kalim al-Tayyib.

Al-Tabari, M. J. (2000). *Jami' al-bayan fi ta'wil al-Qur'an* (A. M. Shakir, Ed.; 1st ed.). Mu'assasat al-Risalah.

Ibn 'Ashur, M. T. (1984). *Al-Tahrir wa al-tanwir*. Al-Dar al-Tunisiyyah.

Al-'Askari, H. A. (n.d.). *Al-furuq al-lughawiyyah* (M. I. Salim, Ed.; 2nd ed.). Dar al-'Ilm wa al-Thaqafah.

Ibn ʻAtiyyah, A. G. (2001). *Al-muharrar al-wajiz fi tafsir al-kitab al-ʻaziz* (A. A. M. Muhammad, Ed.; 1st ed.). Dar al-Kutub al-ʻIlmiyyah.

Al-Farra', Y. Z. (n.d.). *Maʻani al-Qurʻan* (A. Y. Al-Najjati, M. A. Al-Najjar, & A. I. Al-Shalabi, Eds.; 1st ed.). Al-Dar al-Masriyyah lil-Taʼlif wa al-Tarjamah.

Ibn Qutaybah, A. M. (n.d.). *Taʻwil mushkil al-Qurʻan* (I. Shams al-Din, Ed.). Dar al-Kutub al-ʻIlmiyyah.

Al-Qurtubi, M. A. (1964). *Al-Jamiʻ li-ahkam al-Qurʻan* (A. Al-Barduni & I. Atfayish, Eds.; 2nd ed.). Dar al-Kutub al-Misriyyah.

Al-Qushayri, A. (n.d.). *Lataʼif al-isharat* (I. Al-Basyuni, Ed.; 3rd ed.). Al-Hayʼah al-Misriyyah al-ʻAmmah lil-Kitab.

Qutb, S. (1992). *Fi zilal al-Qurʻan* (17th ed.). Dar al-Shuruq.

Ibn Kathir, I. A. (1999). *Tafsir al-Qurʻan al-ʻazim* (S. M. Salamah, Ed.; 2nd ed.). Dar Taybah lil-Nashr wa al-Tawziʻ.

Al-Karaji, A. M. (2003). *Al-nukat al-dallah ʻala al-bayan fi anwaʻ al-ʻulum wa al-ahkam* (A. G. Al-Tuwaijri et al., Eds.; 1st ed.). Dar al-Qayyim, Dar Ibn ʻAffan.

Al-Kafawi, A. M. (n.d.). *Al-kulliyyat: Muʻjam fi al-mustalahat wa al-furuq al-lughawiyyah* (A. Darwish & M. Al-Masri, Eds.). Muʼassasat al-Risalah.

Ibn Manzur, M. M. (1993). *Lisan al-ʻArab* (3rd ed.). Dar Ṣadir.

Al-Nahhas, A. M. (1989). *Maʻani al-Qurʻan* (M. A. Al-Sabuni, Ed.; 1st ed.). Umm Al-Qura University.

Al-Nasafi, A. A. (1998). *Madarik al-tanzil wa haqaʻiq al-taʻwil* (Y. A. Badawi, Ed.; 1st ed.). Dar al-Kalim al-Tayyib.